المسؤولية (٣)
أخطاء تربوية (ب)

١٠/ ١١/ ١٤١٦هـ

إِنَّ الحَمْدُ ِلله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعينُهُ ونَسْتَغفِرُهُ، وَنَعوذُ بِا ِلله مِنْ شُرورِأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا، مَنْ يَهدِهِ ا ُلله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا َلله وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

مَعاشِرَ الْمُسْلِمينَ:

تَقَدَّمَ فِي الْجُمعَةِ المَاضِيَةِ شَيءٌ مِنْ صُوَرِ التربيَةِ الخَاطِئَةِ الَّتي تَصْدُرُ مِنْ بَعْضِ الآبَاءِ تِجَاهَ أَبْنائِهِم فَيَترتَّبُ مِنْ جَرَّائِهَا تَنْشِئَتهُمُ نَشْأَةً دَاتَ عِوجٍ إِضَافَةً إِلى حُصولِ الإِثْمِ لِلآبَاءِ المُترتِّبِ عَلَى تَضْييعِهِم المُسْؤولِيَةَ الَّتي كُلِّفُوا بِهَا فِي قَولِهِ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[1]. فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...».

أَخْرجَهُ الشَيخَانِ عَنْ عَبدِا ِلله بنِ عُمَرَ رَضِيَ ا ُلله تَعَالَى عَنْهُمَا.

وَاستكْمَالاً لِمَا سَبَقَ طَرْحُهُ مِنْ صُوَرِ التَّربيَةِ الخَاطِئَةِ يُقَالُ أَيْضًا:

وَمِنْ صُوَرِ التَّرْبِيَةِ الخَاطِئَةِ أَيْضًا:

أَنَّ بَعْضَ الآبَاءِ يَزْرَعُ فِي قُلوبِ أَبْنائِهِ حُبَّ الثأرِ وَالانْتِقَامِ، فَترى ذّلِكَ الوَالِدَ مُنْذُ أَنْ يَرَى أَحَدَ أَبْنائِهِ بَاكِياً أَو شَاكِياً أَو مُهاناً مِنْ أَحَدِ إِخْوانِهِ أَو جِيرانِهِ، إِلاَّ وَيَبْدأُ ذّلِكَ الوَالِدُ بِتعيير وَلَدِهِ بِالجُبْنِ وَالأُنوثَةِ، لأَنَّهُ تَركَ فُلاناً يَتكلَّمُ عَليهِ وَفُلاناً يَضْرِبُهُ وَيُؤذيهِ دُونَ أَنْ يُبادِلَهُمُ الأَقْوالَ وَالأَفْعالَ.

فَيَبدَأُ ذّلِكَ الوَالِدُ الجَاهِلُ بِشَحنِ نَفْسِيَّةِ ذّلِكَ الوَلَدِ حَتَّى يُوَلَّدَ فِي نَفْسِهِ غَريزَةَ الشَّرِّ وَالكَيدِ فَيَشِبُ وَينْشَأُ عَلَى عَادَةٍ مَقيتَةٍ يَصْعُبُ الإِقْلاعَ عَنْهَا فِيمَا بَعدُ.

وَلِكُلِّ امْرىءٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا

وَلَو أَنَّ ذّلِكَ الوَالِدَ اسْتَبْدَلَ الذى هُوَ خَيرٌ بِالذي هُوَ أَدنَى، وَعَلَّمَ وَلَدهُ فَضلَ كَظْمِ الغَيظِ وَفَضلَ العَفوِ وَالإِحْسَانِ، وَمَا يَترتَّبُ عَلَى ذّلِكَ مِنَ العَاقِبَةِ الحَميدَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لَكَانَ خَيراً وَأَبقَى مِنْ تَعويدِهِمْ حُبَّ الانْتِقَامِ وَالشَّرِّ.

وَمِنَ الأَخْطاءِ التَّرْبَوِيَّةِ أَيْضاً:

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٤٥٩).

مَا يَقومُ بِهِ بَعْضُ الآبَاءِ مِنْ تَنشِئَةِ أَطْفالِهِم عَلَى أُمورٍ مُخالِفَةٍ لِلآدَابِ الفَاضِلَةِ، وَأَقلُّ مَا فِيهَا أَنْ تَكُونَ مِنْ فُضولِ التَّصَرُّفاتِ، وَمِثَالُ ذلِكَ: أَنَّ بَعْضَ الآبَاءِ يَأمُرُ وَلَدهُ أَو أَوْلادَهُ أَنْ يَنْقُلَ لَهُ مَا يَقولُهُ فُلانُ أَو فُلانَةٌ، وَأَنْ يُخْبِروهُ عَنْ بَعْضِ أُمورٍ خَاصَّةٍ دَاخِلَ مَنْزِلِ أُولئِكَ النَّاسِ، فَيَبدأُ أُولئِكَ الأَوْلادُ بِبَراءَتِهِم فِي تَنفيذِ مَطالِبِ وَالِدِهِمُ السَّقيمَةِ، فَتَراهُمْ يُحاوِلُونَ اسْتِراقَ السَّمْعِ وَالنَّظَرِ حَتَّى يُوافُوا وَالِدَهُم بِمَا أَرادَ.

وَهَذا مِنْ سُوءِ التَّربِيَةِ وَالتَوْجيهِ، لأَنَّ ذّلِكَ يُوَرِّثُ فِي طِبَاعِ أَوْلادِهِ خِصالَ النَّميمَةِ وَالفُضُولِ، وَلَو أَنَّهُ أَرْشَدَهُم إِلَى الأَدَبِ فِي المَجَالِسِ وَاحْتِرامِ الكَبيرِ وَتَركِ مَا يُشينُ مِنْ التَصَرُّفاتِ القَوْلِيَّةِ والفِعْلِيَّةِ لَكانَ خَيراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ.

ومِنَ الأَخْطاءِ التَّرْبَويَّـةِ أَيْضًا:

أَنَّ بَعْضَ الآبَاءِ قَدْ يَرَى وَلَدهُ عَلَى خَطَأٍ كَأَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ فَاحِشاً مِنْ القَولِ فَيقُومَ بِشِبْهِ الإِنْكَارِ عَليهِ، وَالخَلَلُ فِي هَذا أَنْ يَكونَ أُسلوبُ الإِنْكَارِ غَيرَ مُناسِبٍ لِمَقامِ ذّلِكَ الخَطَأ، فَرُبَّمَا يكونُ الخَطَأُ كَبيراً وَيَكونُ عِلاجُهُ ضَعيفاً لاَ تَظْهَرُ فِيهِ فَداحَةُ الخَطأِ بِالنِسْبَةِ لِلوَلَدِ، وَهُنَا مَكْمَنُ الخَلَلِ، فَرُبَّمَا يَسْتَمرئُ الوَلَدُ العَوْدَةَ إِلى ذّلِكَ الخَطَأِ مَرةً أُخْرَى بَلْ مَراتٍ مُتَعَدِّدَةً، لعَدَمِ اسْتِشْعارِهِ لِشَناعَةِ خَطَئِهِ. وَكَانَ الأَوْلَى بِالوَالِدِ وَالأَصْلَحَ لِلوَلَدِ أَنْ يَكُونَ عِلاجُهُ بِحَسَبِ خَطَئِهِ فَإِنْ كَانَ خَطَؤُهُ كَبيراً كَانَ عِلاجُهُ كَذّلِكَ.

شَاهِدُ المَقَالِ: أَنَّ مُجَرَّدَ إِنْكارِ الوَالِدِ خَطَأَ وَلَدهِ لاَ يَكْفِي فِي إِصْلاحِ خَلَلِهِ، بَلْ رُبَّمَا يكونُ إِنْكارُهُ بَاعِثاً لَهُ عَلَى مُعاوَدَةِ خَطَئِهِ.

ومِنْ أَخْطاءِ التَّرْبِيَةِ أَيْضاً:

أَنَّ بَعْضَ الآبَاءِ قَدْ يَكونُ مُبْتَلَىً بِشَيءٍ مِنْ مُنكَراتِ الأَخْلاقِ كَشُربِ الدُّخانِ أَو التَلَفُظِ بِألْفاظٍ نَابِيَةٍ مُحَرَّمَةٍ، فَيَتعَاطَى شُرْبَ الدُّخانِ أَمَامَهُم، وَكَذا التَّلَفُّظُ أَمَامَهُم، مِمَّا يُحَسِّنُ ذّلِكَ المُنْكَرَ فِي أَعْيُنِهِم، بَلْ رُبَّمَا تَجَرَّؤوا إِلى تَعاطِيهِ، لِمَا شَاهَدوا وَسَمِعوا مِنْ أَبيهِم، فَيَئِسَ الوَارِثُ وَمَا وَرِثَ. وَلَو أَنَّ ذّلِكَ الوَالِدَ إِذا ضَعُفتْ نَفسُهُ عَنْ تَركِ ذلِكَ المُنْكَرِ اسْتَتَر بِسِترِ اللهِ عِنَدَ فِعلِهِ لذّلِكَ المُنْكَرِ، لَكَانَ الشَّرُّ أَهْوَنَ، وَحَنائِيكَ فَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْونُ مِنْ بَعْضٍ.

وَمِثْلُ ذّلِكَ الخَطأ أَو قَريبٌ مِنْهُ:

أَنَّ بَعْضَ الآبَاءِ قَدْ يَكُونُ مُبتَلى بِشِراءِ بَعْضِ المَجَلاَّتِ الهَابِطَةِ أَو تِلْكَ المَجلاتِ الَّتي غَايَةُ مَا فِيها قَتلُ السَّاعَاتِ وَإِضَاعَةُ الأَمْوالِ بِلاَ فَائِدَةٍ تُرْجَى، وَلاَ يَسْتطِيعُ بِزَعمِهِ أَنْ يَترُكَ قِراءَتَهَا أَو مُتَابَعَةَ أَعْدادِهَا.

شَاهِدُ المَقَال: أَنَّ ذلِكَ الوَالِدَ مَتَى مَا فَرَغَ مِنْ تَصَفُّحِ تِلْكَ المَجَلاتِ وَإِشْباعِ نَهْمَتِهِ مِنْهَا طَرَحَهَا جَانِباً، فَيَتَلقَّفُهَا أُولئِكَ الصِّغَارُ وَاحِداً تِلوَ الآخَرِ، بَلْ رُبَّمَا لَمْ يُؤْثِرْ أَحَدُهُم أَخاهُ عَلَى نَفسِهِ، فَيَجتَمِعونَ عَلَيْهَا سَوِياً لإِشْباعِ رَغَباتِهِمُ البَريئَةِ فِي تَقليبِ صَفَحاتِهَا وَالنَّظَرِ إِلى صُوَرِهَا.

وَمِمَّا يَزيدُ شَغَفَهُمْ وَتَعَلُّقَهُم بِهَا مَا اعْتَادُوهُ مِنْ رُؤيَتِهِم لأَبيهِمْ وَهُو مُمْسِكٌ بِتِلْكَ المَجَلَّةِ بَينَهُم يُقَلِّبُ النَّظَرَ فِي مَقالاَتِهَا وَصُوَرِهَا وَصَفحاتِهَا بِحِرْصٍ دَائِمٍ.

وَكَانَ الأَوْلَى بِهِ -بَلِ الوَاجِبُ عَلَيهِ- أَنْ يَحْرِصَ جَاهِداً فِي حِفْظِ مَالِهِ وَوَقتِهِ عَنْ سَفاسِفِ الأُمُورِ وَسَقطِ المَتَاعِ، فَإِنْ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ عَنْ ذّلِكَ، فَلاَ أَقَلَّ مِنْ إِبعَادِ أَبنَائِهِ عَنْ تِلْكَ النَقَائِصِ أَثنَاءَ تَلوُّثِهِ فِي أَوحَالِهَا.

وَمِنَ الأَخْطاءِ التَربَوِيَّةِ أَيْضاً:

أَنَّ بَعْضَ الآبَاءِ يَظُنُّ أَنَّ مِنْ تَمامِ الْشَّفَقَةِ وَالَمحبَّةِ لِلأطْفَالِ عَدَمَ تَأنيبِهِمْ أَو الغِلظَةِ عَلَيْهِم ، وَهَذا مِنْ الخَطَأ فِي التَّربِيَةِ، فَرُبَّمَا يَكُونُ ضَرْبُهم إِذا دَعَتِ الحَاجَةُ مِنْ تَمامِ الْشَّفَقَةِ عَلَيْهِم، لأَنَّ ذّلِكَ يُعينُ عَلَى تَقويمِ عِوَجِهِم وَيَزيدُهُمْ حِرْصاً عَلَى مُفارَقَةِ مَا أَخْطَؤُوا فِيهِ.

قَسَا لِيَزدَجِروا وَمَنْ يَكُ راحِماً فَلْيَقْسُ أَحْياناً عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

شَاهِدُ القَول: أَنَّ ضَرْبَ الأَطْفَالِ أُسْلوبٌ شَرْعِيٌّ عِنَدَ دُعَاءِ الحَاجَةِ لَهُ، كَمَا قَالَ ﷺ «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(٢).

بَلْ قَدْ جَاءَ النَّصُ بِجَعلِ آلَةِ الضَّرْبِ أَمَامَ أَعْيُنِ أَهْلِ البَيتِ لِتَكُونَ رَادِعاً لَهُمْ وَمُذكَّرةً لَهُمْ بِتَجنُّبِ الأَخْطاءِ، فَقَدْ أَخْرجَ الطَبرانِيُّ وَغَيرُهُ عَنْ عَبدِاللهِ بنِ عَباسٍ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اِلله ﷺ: «**عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيثُ يَراهُ أَهْلُ البَيتِ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ لَهُمْ**»(٣).

وَعَوداً عَلَى بَدءٍ يُقالُ: إِنَّ العُزوفَ عَنْ ضَرْبِ الأَطْفالِ بِالْكُلِّيَّةِ رُبَّمَا يَعودُ بِالضَّرَرِ عَلَيْهِم، لأَنَّهُ كَمَا يُقالُ: مَنْ أَمِنَ العُقوبَةَ أَساءَ الأَدَبَ. وَأَجمَلُ مِنْ ذّلِكَ قَولُ القَائِلِ:

لاَ تَأسَفَنَّ عَلَى الصِّبْيانِ إِنْ ضُرِبُوا فَالضَّرْبُ يَبْرا وَيَبقَى العِلْمُ وَالأَدَبُ
فَالضَّرْبُ يَنْفَعهُمْ وَالعِلمُ يَرفَعهُمْ لَولاَ الإِخَافَةُ مَا خَطُّوا وَلاَ كَتَبُوا

اللّهُمَّ آتِ نُفوسَنَا تَقْواهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَولاَهَا.

* * *

(٢) رواه أحمد فِي مسنده (٦٧٥٦).

(٣) رواه الطبراني فِي الكبير (١٠٦٦٩).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِله الذَي عَلَّمَ بِالقَلَمِ، عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

مَعاشِرَ المُسْلِمينَ:

وَمِمَّا يَنبَغِي التَنْبيهُ عَليهِ عَنْ مَسْأَلَةِ العِقَابِ البَدَنِيِّ أَنْ يُقالُ: لَقَدْ زَهِدَ بَعْضُ التَّربَوييِّنَ مِنْ المُسْلمينَ فِي مَسْأَلَةِ العِقَابِ البَدَنِيِّ وَالتَمْسُوا العِلَلَ وَالمَعاذِيرَ فِي بَيانِ عَدَمِ إيجَابِيتِهَا فِي بَابِ التَّقويمِ التَّربَوِيِّ، وَمَعَ شَديدِ الأَسَفِ أَنَّ فِئَةً مِنْ أُولئِكَ التَربَوِيِّينَ يُرَدِّدونَ نَظَرِيَاتٍ تَربَوِيَّةً وَيَدْعَمونَهَا بِآرائِهِم وَتَعليلاَتِهِم، لإعْجَابِهِم بِشَخصِيَّةِ قَائِلِهَا، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَقولَتِهِ وَمَا يَعتَريهَا مِنْ الخَلَلِ.

وَشَريحَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّربَويينَ لَهَمْ قَناعَاتٌ ذَاتِيَّةٌ مُجَرَّدَةٌ مِنَ الأَدِلَّةِ الشَّرْعيَّةِ، رَأَوا أَنَّ الضَّرْبَ وَسيلَةٌ عَديمَةُ النَّفْعِ وَالجَدْوَى.

وَشَريحَةٌ أُخْرَى جَعَلتِ النُّصوصَ الشَّرْعِيَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهَا وَأَنْزلتْهَا مَنازِلَهَا، فَجَعلتْ عُقوبَةَ الضَّرْبِ مُقَيدةً بِقيودٍ حِسِيَّةٍ وَمَعْنَويَّةٍ عَلَى وِفْقِ مَا جَاءتْ بِهِ النُّصوصُ، وَنِعْمَ مَا قَالوا.

وَلَقَدْ أَسْهَبَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلمينَ فِي الكَلامِ عَنْ هَذهِ القَضِيَّةِ التَربَوِيَّةِ، وَكَانَ مِمَّا شَرطُوهُ فِي مَسْأَلَةَ العِقَابِ البَدَنِيِّ.

١- أَنْ يَكونَ لِلعِقَابِ هَدفٌ مُعَينٌ.

٢- وَأَنْ لاَ يَكونَ العِقَابُ صَادِراً فِي لَحْظَةِ انْفِعَالٍ وَغَضبٍ.

٣- وَأَنْ يَتَناسَبَ العِقَابُ مَعَ الخَطَأ تَناسُباً طَرديًّا.

٤- وَأَنْ يَكونَ العِقَابُ مَعقُولاً مَقْبولاً دُونَ تَعَسُّفٍ أَو ظُلْمٍ.

وَلأَهمِيَّةِ مَسْأَلَةِ العِقَابِ البَدنيِّ نَصَّ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ المَذاهِبِ المَشْهُورَةِ ، فَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ: يجُوزُ الضَّرْبُ وَلكنْ بِإذنِ الوَلِيِّ فِي مَسْأَلَةِ الحِفْظِ وَالعِلمِ، أَمَّا فِي مَسْأَلَةِ الهَرَبِ والإيذَاءِ وَالتَّلَفُّظِ بِمَا لاَ يَليقُ فَلاَ يَحتَاجُ إِلى إِذْنٍ.

أَمَّا عِنْدَ الحَنَابِلَةِ فَقَدْ سُئِلَ الإمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اَلله تَعَالَى عَنْ ضَرْبِ الُمعَلِّمِ لِلصِبْيَانِ فَقالَ: عَلَى قَدرِ ذُنوبِهِم، وَيَتَوقَّى جُهْدَهُ الضَّرْبَ وَإِنْ كَانَ صَغيراً لاَ يَعْقِلُ فَلاَ يَضْرِبُهُ.

أَمَّا المَالِكِيَّةُ: فَلاَ حَدَّ لِعَددِ الضَّرْبِ عِنْدَهُم إِلاَ بِقَدرِ مَا يَراهُ الُمعَلِّمُ.

وَلَقَدْ ذَكَر التَربَويونَ الإسْلامِيونَ مَجمُوعةً مِنَ الأَسْبابِ الَّتي يُضْرَبُ الصَّبِيُّ مِنْ أَجْلِهَا، وَمِنْ تِلْكَ

الأَسْبابِ:

التَخَادُلُ عَنْ الصَّلاةِ، وَعُقوقُ الوَالِدَين، وَالتَخَادُلُ فِي الِحْفظِ وَالكِتَابَةِ، وَالتَّلَفُّظُ بِألْفاظٍ قَبيحَةٍ أَو سَيْئِةٍ، وَمُخَالَطَةُ أَقرانِ السُّوءِ، وَإيذَاءُ الغَيرِ، إِلى غَيرِ ذّلِكَ مِنْ الأَسْبابِ الَّتي تُرَجِّحُ المَصْلَحَةُ في تَطبيقِ العِقَابِ البَدَنِيِّ كَعِلاجٍ لتِلْكَ القَضِيَّةِ.

اللّهُمَّ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْواجِنَا وَذُريَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعلَنَا لِلمُتَّقينَ إِمَاماً.

اللّهُمَّ ارزُقْنَا بِرَّ آبَائِنَا وَأُمَّهاتِنَا، وَاجْعَلْ أَبْناءَنَا لَكَ مُطيعِينَ وَلِوالِدَيهِم بَارِّينْ وَلأُمَّتِهِم نَافِعينَ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى المُرْسَلينَ وَالحَمْدُ ِلله رَبِّ العَالَمينَ.

* * *